كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد الأدبي القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: محنة الشعراء المحدثين وعملية الإبداع الفني عند ابن طباطبا

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Modern poets and artistic creativity at Ibn Tabateba

مقرر الفصل الثاني

محنة الشعراء المحدثين وعملية الإبداع الفني عند ابن طباطبا:

لقد شغلت عملية الإبداع الفني وصنع القصيدة فكر ابن طباطبا وألف كتابه لتيسير سبل إنجاح هذه العملية، جاعلاً العقل الواعي هو الماسك لزمام الأمر في مراحل تكوين القصيدة.

وأساس محنة الشعراء قائم على المثل الشعري الأعلى –الشعر القديم– فقد أخذ هذا المثل هالة في أذهان الناس فكل ما يأتي من الشاعر المحدث لابد أن يقارن بتلك الهالة الكبيرة، وسرعان ما يتلاشى ضوء الشاعر المحدث إزاء بريق الشعر القديم وجمال معانيه وأساليبه، فكيف يتسنى للشاعر المحدث أن يأتي بالجيد الجديد الذي يضاهي القديم جمالاً وإبداعاً ولا يكون عالة عليه؟

أما أسباب المحنة في آراء ابن طباطبا فهي كما يأتي:

١–أول أسباب المحنة يتمثل في إحساس ابن طباطبا أن الشعراء القدماء قد استوفوا الحديث في الأفكار والمعاني التي يمكن أن تخطر ببال الشاعر بصور وأخيلة جميلة لم تترك مجالاً للشاعر المحدث أن يضيف أو يبدع أكثر مما أبدعوه، يقول: "**والمحنة على شعراء زماننا في أشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، وخلابة ساحرة، فان أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يربى عليها لم يتلق بالقبول وكان كالمطرح المملول**".

٢–أما ثاني أسباب المحنة فيظهر في نظرة ابن طباطبا إلى دوافع الشعر ومقارنته بين القديم والحديث وإجلاله للشعر القديم جعله يصدر حكماً عاماً بشأن دوافع القول لدى الشعراء، إذ خيل إليه أنهم كانوا أكثر صدقاً من الشعراء المحدثين وان دوافعهم على

القول كانت منبعثة من صدق مواقفهم وأحاسيسهم معاً وأنهم كانوا يؤسسون أشعارهم " ومع هذا فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الاسلام من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها مديحاً وهجاءً وافتخاراً ووصفاً، وترغيباً وترهيباً، إلا ما قد احتمل الكذب فيه في حكم الشعر: من الإغراق في الوصف والإفراط في التشبيه".

٣-وثالث أسباب المحنة يظهر في رأي ابن طباطبا في بُعد الشعراء عن الأصالة العربية وكون أشعارهم صادرة عن تكلف ومعاناة بخلاف الشعر القديم الذي صدر فيه أصحابه عن طبع عربي صحيح ولغة قويمة (كأشعار العرب التي سبيلهم في منظومها سبيلهم في منثور كلامهم الذي لا مشقة فيه".

وبعد أن بيّن أسباب معاناة الشاعر المحدث في نظمه الأشعار حاول أن يرسم خطوطاً عامة تخرجه من هذه الأزمة وأول خط يتمثل في الآتي:

١-التريث في إعلان القصيدة وإظهارها.

٢-الدعوة الى تجويدها وإعادة النظر فيها حتى يتأكد من سلامتها من العيوب التي نبَّه وأمر بالتحرز منها، وهذا ما دعا إليه من قبل في ضرورة إخضاع القصيدة في مراحلها الأخيرة من عملية الإبداع إلى التنقيح والتهذيب.

٣-الدعوة إلى الاحتذاء حذو الجيد من الشعر القديم.

٤-إبراز روح المعاصرة في شعره المستمدة من جذور الماضي.

٥-الإفادة من المعاني التي تبناها الشعراء القدماء في أشعارهم إفادة لا يُتهم فيها بالسرقة او التقليد ولا يبتعد فيها عن الأصالة والابتكار.

وما محاولة ابن طباطبا هنا إلا رغبته في توسيع نطاق القول للشاعر ومنحه حرية إخراج المعنى القديم إخراجاً جديداً شرط أن يكون مجيداً في أخذه للمعنى.

أما معالجة السبب الثاني الذي يتعلق بدوافع القول التي خُيّل إليه أن المحدثين يفتقدون فيها الصدق بخلاف الشعراء القدماء، فحاول في مواضع عديدة دفع الشاعر المحدث إلى الصدق في التعبير، والصدق المراد به هو صدق الواقع المراد تصويره وليس الصدق الأخلاقي، فأراد من الشاعر أن يمتثل بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "ما خرج من القلب وقع في القلب، وما خرج من اللسان لا يتعدى الأذان" فالنفس تألف المألوف وتنفر من الغريب المستغلق.

ومعالجة السبب الثالث تأتي ضمن ظن ابن طباطبا من كون المحدثين صادرين في أشعارهم عن تكلف بخلاف الشعراء القدماء الذين يصدرون أشعارهم عن طبع وسليقة شعرية أصيلة، ولذا نبَّه في معظم فصول الكتاب على هذا الإشكال فخاطب الشاعر قائلاً: "**فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره إلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نُبِّه عليها وأمر بالتحرز منها ونُهي عن استعمال نظائرها**"، **فسمى مثلاً" الأبيات المتفاوتة النسج" وحذَّر من الوقوع في مثلها متمثلاً بأشعار لبعض الشعراء المتقدمين كوصفه: قبيحة العبارة أو رديئة الوقع متكلفة ...الخ.**

ولغرض الاستفادة من معاني الأقدمين دعا الشاعر إلى اتباع الطرق الآتية :

١-إذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يُعَب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه .

٢-استعمال معاني الشعراء الأقدمين في غرض غير الغرض الذي أوردها فيه فإذا وجد الشاعر معنى لطيفاً في تشبيب أو غزل استعمله في المديح وإن وجده في المديح استعمله في الهجاء.

٣–استبدال الصورة التي ورد فيها المعنى بصورة أخرى تظهره بمظهر جديد يموه الأخذ والسرقة، فإن وجد الشاعر معنى في وصف ناقة أو فرس استعمله في وصف الانسان.

٤–أخذ معاني النثر اللطيفة منها في الأشعار .

٥–عكس المعنى وتكراره في شعر الشاعر الواحد بعبارات مختلفة وإذا انقلبت الحالة التي يصف فيها ما يصف قلب ذلك المعنى ولم يخرج عن حدّ الإصابة فيه .

* المآخذ على ابن طباطبا العلوي :

١–انَّه يمثل اتجاهاً فنيًّا واحدًا في الابداع الشعري، مهملاً الاتجاه الآخر اتجاه الطبع .

٢–نقل ابن طباطبا تجربته الشعرية ذات طابع الصنعة، وحاول فرضها على الشعراء الآخرين الذي صدر شعرهم عن طبع وسليقة .

٣–عدم اعترافه بالإلهام أو ما يشير إلى معناه، وآمن بأنَّ العقل هو المسيطر على العملية الإبداعية.

ونبّه الشاعر الاحتراز من الآتي:

١–الاحتراز من الاغراق في المعاني: ذكر نماذج للإغراق في المعاني ولكنه يقف منها موقفاً متبايناً، فبعض الشواهد يكتفي بذكرها من دون تعليق وكأنه يُقرّ بإغراق أصحابها في معانيها، والبعض الآخر يعلق عليه تعليقاً وكأنه معجب بمبالغة الشاعر، كقول النابغة :–

فإنَّــــك كالليـــــل الـــــذي هـــــو مُــــدركي   وإن خلـــــتُ أن المنتــــــأى عنـــــكَ واسِـــــعُ

خطـــاطيف حُجــنٍ فـــي حبـــالٍ متينـــةٍ   تمـــــــدُّ بهــــــا أيـــــــدٍ إليـــــكَ نـــــوازعُ

وحلل ابن طباطبا تركيب البيت الأول وصورته الوصفية بقوله: "وإنما قال كالليل الذي هو مدركي ولم يقل كالصبح؛ لأنه وصفه في حال سخطه فشبه بالليل وهو له، فهي كلمة جامعة

لمعانٍ كثيرة" فالموقف في حال سخط الممدوح على المادح فناسبه ذكر(الليل) بجامع الرهبة والخوف .

وكقوله النابغة الجعدي:

بلغنـــا الســـماء نجـــدة وتكرمـــاً وإنـــا لنرجـــو فـــوق ذلـــك مظهـــرا

وهذا ما سمّاه قدامة بـ (الممتنع الوقوع) لفرط المبالغة

٢- الاحتراز من الأبيات المتكلفة النسج: وينطوي تحت ذلك الأشعار غثة الألفاظ، البادرة المعاني، المتكلفة النسج القلقة القوافي. ومن ذلك قول الأعشى:

فَرَمَيْتُ غَفْلَة عَيْنِهِ عَن شَاتَهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِها وَطِحَالِهَا

وقول المُزَرِّد: **فَمَا بَرِحَ الوِلدانُ حَتَّى رَأَيْتُه ... على البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وحَافِرِ**

٣-مما يجب الاحتراز منه ما يتطير منه في مفتتح القصائد أو يستجفي من الكلام. ومنه قول ذي الرُّمة: **ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنّه من كُلى مَفْرِيّةٍ سَرَبُ**

٤-ينبغي للشاعر أن يتجنب الاشارات البعيدة والحكايات المغلقة والايماء المشكل، ويستعمل من المجاز ما يقارب الحقيقة ولا يبعد عنها. ومنه قول النابغة:

تَخْدي بِهِمْ أَدُمٌ كأنَّ رِحَالَهَا ... عَلَقٌ أُرِيقَ على مُتُونِ صُوَارِ

يريد أن الابل تسير بهم وكأن ما عليها يشبه الدَّم الذي يسيل على ظهورها.

٥-وجوب الاحتراز من ذكر الاسماء التي توافق أسماء بعض نساء الممدوح. ومنه أنَّ الخليفة هارون الرشيد كان واقفًا ومرَّ رجلٌ في صحنِ داره ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيدُ للفضل بن الربيع: ما ذاك؟ فقال: عروقُ الرماحِ يا أمير المؤمنين وهنا كناية عن حزمة الخيزران، وكره أنْ يقول: الخيزران، فاحترس لموافقة ذلك لاسم أمِّ الرشيد.

٦-ينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيلائم بينها لتنتظم لها معانيها ويتصل فيها كلامه.

٧- الاحتراز من الاشعار القاصرة عن الغايات. ومنه قول امرئ القيس:

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ... كَسَا وَجهَهَا سَعَفٌ مُنْتَشِرْ